سورة الإسراء

٢٧١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[(١)] [٩]، وخصت سورة «الكهف» بقوله: ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ [٢]؛ لأن الأجر فى السورتين: [الجنة]، والكبير والحسن من أوصافها؛ لكن خصت هذه السورة بالكبير موافقة لفواصل الآى قبلها وبعدها، وهى: ﴿حَصِيرًا﴾ [٨]، ﴿أَلِيمًا﴾[١٠]، ﴿عَجُولًا﴾[١١]. وجلها وقع قبل آخرها مدة. وكذلك فى سورة «الكهف» جاء على ما تقتضيه الآيات قبلها وبعدها، وهى ﴿عِوَجًا﴾[١]، ﴿أَبَدًا﴾[٣]، ﴿وَلَدًا﴾[٤]، وجلها قبل آخرها متحرك، وأما رفع ﴿يبشر﴾ فى «سبحان»، ونصبها فى «الكهف»، فليس من المتشابه.

٢٧٢ ـ قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [٢٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[(٢)][٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[(٣)] [٣٩] فيها بعض المتشابه، ويشبه التكرار، وليس بتكرار؛ لأن الأولى فى الدنيا، والثالثة فى العقبى، و«الثانية»: الخطاب فيها للنبى صلى الله عليه وسلم، والمراد به غيره؛ وذلك أن امرأة بعثت صبيا لها إليه مرة بعد أخرى تسأله قميصًا، ولم يكن عليه ولا له ﷺ قميص غيره فنزعه، ودفعه إليه، فدخل وقت الصلاة، فلم يخرج حياء، فدخل عليه أصحابه صلى الله عليه وسلم، فوجدوه على تلك الحالة، فلاموه على ذلك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: يلومك الناس ﴿مَّحْسُورًا﴾: مكشوفًا هذا هو الأظهر من تفسيره.

---

(١) راجع روح المعانى للألوسى (١٥/ ٢٢)، وانظر فتح الرحمن (ص ٢٣٠) مسألة رقم (٤).

(٢) راجع ما قاله الفخر الرازى فى الكبير (٢٠/ ١٩).

(٣) انظر ما قاله الشيخ الصاوى من كلام رائع على التوحيد من أنه مبدأ الأمور ومنتهاها، وأنه رأس الأشياء وأساسها وأن الأعمال بدون التوحيد باطلة لا تفيد شيئًا. راجع حاشية الصاوى على الجلالين (٢/ ٣٥٠)، وانظر فتح الرحمن (ص ٢٣٢) مسألة (١١).

٢٧٣ ـ قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾[٤١]، وفى آخر السورة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [٨٩]؛ إنما لم يذكر فى أول «سبحان» ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ لتقدم ذكرهم فى السورة[١]، وذكرهم فى آخر السورة [٨٩]، وذكرهم فى «الكهف»؛ إذ لم يجر ذكرهم؛ لأن ذكر الإنس والجن جرى معًا فذكر الناس، كراهة الالتباس[٢] ، وقدمه على قوله: ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ كما قدمه فى قوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [٨٨]، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [٨٩].

وأما فى «الكهف» فقدم ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾؛ لأن ذكره جل الغرض؛ وذلك أن اليهود سألته عن قصة أصحاب الكهف، وقصة ذى القرنين، فأوحى الله إليه فى القران؛ فكان تقديمه فى هذا الموضع أجدر، والعناية بذكره أحرى.

٢٧٤ ـ قوله: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[٣] [٤٩]، ثم أعادها فى آخر السورة بعينها، من غير زيادة ولا نقصان [٩٨]؛ لأن هذا ليس بتكرار؛ فإن الأول من كلامهم فى الدنيا حين جادلوا الرسول وأنكروا البعث، والثانى: من كلام الله تعالى حين جازاهم على كفرهم، وقولهم وإنكارهم البعث، فقال: ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [٩٧، ٩٨].

٢٧٥ ـ قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾[٩٨]، وفى «الكهف»: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾[١٠٦]، اقتصر فى هذه السورة على الإشارة، لتقدم ذكر جهنم[٤] . ولم يقتصر فى «الكهف» على الإشارة دون العبارة؛ لما

---

(١) وذلك فى قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [٣].

(٢) فتح الرحمن (ص ٢٣٣) مسألة رقم (١٤)، وفتاوى النووى (ص ٢٧٠) مسألة رقم (٢٣٦).

(٣) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٠/ ٢٢٦)، والألوسى (١٥/ ٩١).
وانظر فتح الرحمن (ص ٢٣٤) مسألة رقم (١٦)، والألوسى (١٥/ ٩١ و١٧٧).

(٤) وقد ذكرت جهنم فى «الإسراء» فى قوله تعالى: ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ﴾ [٩٧].

اقترن بقوله: ﴿جَنَّاتُ﴾[١٠٧][(١)] ، فقال : ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ [١٠٦] الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[١٠٧]؛ ليكون الوعد والوعيد كلاهما ظاهرين للمستمعين.

٢٧٦ ـ قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾[(٢)] [٥٦]، وفى «سبأ»: ﴿ادْعُوا[(٣)] الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [٢٢]؛ لأنه يعود إلى الرب فى هذه السورة، وقد تقدم ذكره فى الآية الأولى، وهو قوله: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ [٥٥]، وفى «سبأ» لو ذكر بالكناية لكان يعود إلى الله كما صرح، فعاد إليه، وبينه وبين ذكره ـ سبحانه ـ صريحًا أربع عشرة آية، فلما طالت الآيات صرح ولم يكن.

٢٧٧ ـ قوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي﴾[(٤)] [٦٢]، وفى غيرها: ﴿أرأيت﴾ ؛ لأن ترادف الخطاب يدل على أن المخاطب به أمر عظيم، وخطب فظيع، وهكذا هو فى هذه السورة، لأنه ـ لعنه الله ـ ضمن أخطاء ذرية بنى آدم عن آخرهم إلا قليلاً، ومثل هذا قوله: ﴿أرأيتكم﴾ فى «الأنعام» فى موضعين ، وقد سبق.

٢٧٨ ـ قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾[(٥)][٩٤]، وفى «الكهف» بزيادة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ [٥٥]؛ لأن ما فى هذه السورة معناه: ما منعهم عن الإيمان بمحمد ﷺ إلا قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [٩٤] هلا بعث ملكًا؟ وجهلوا أن التجانس يورث التآنس، والتغاير يورث التنافر، وما فى «الكهف» معناه: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار إلا إتيان سنة الأولين.

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [١٠٧].

(٢) فتح الرحمن (ص ٢٣٦) مسألة رقم (١٨).

(٣) فى المطبوعة وبعض النسخ (ادعو) وهذا تحريف خطير من النساخ والطابعين على حد سواء.

(٤) راجع تفسير القرطبى (١٥/٢٨٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٢٩٨)، والطبرى (١٥/١١٦)، ومختصر ابن كثير (٢/٣٦٨)، وروح المعانى للألوسى (١٥/ ١١٠)، والفتح (ص ٢٣٨) مسألة رقم (٢٤).

(٥) فتح الرحمن (ص ٢٣٩) مسألة (٢٦)، والنووى (ص ٢٧١) مسألة (٢٤٠).

قال الزجاج: إلا طلب سنة الأولين: وهو قوله: ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢] فزاد: ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ [٥٥].

٢٧٩ ـ قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[٩٦]، وفى «العنكبوت»: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾[٥٢]، و«الرعد»: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٤٣]، ومثله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥][1]، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، فجاء فى «الرعد» و«سبحان» على الأصل، وفى «العنكبوت» أخر ﴿شَهِيدًا﴾؛ لأنه لما وصفه بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ طال فلم يجز الفصل به.

٢٨٠ ـ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ﴾[2][٩٩]، وفى «الأحقاف»: ﴿بِقَادِرٍ﴾ [٣٣]، وفى [يس: ٨١]؛ لأن ما جاء فى هذه السورة خبر أن ، وما فى [يس] خبر ليس، فدخل الباء على الخبر، وكان القياس ألا يدخل فى [حم الأحقاف] ولكنه شابه ليس لما ترادف النفى، وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [٣٣]، ﴿وَلَمْ يَعْيَ﴾ [٣٣]، وفى هذه السورة نفى واحد، وأكثر أحكام المتشابه فى اللغة العربية ثبت من وجهين، قياسًا على باب ما يتصرف وغيره.

٢٨١ ـ قوله: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [3][١٠١] قابل موسى ـ عليه السلام ـ كل كلمة من فرعون بكلمة من نفسه، فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [١٠٢] .

---

(١) فى الأصل: تقدم ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ على ﴿وكفى بالله نصيرا﴾، راجع المسألة فى فتح الرحمن (ص ٢٣٩) مسألة رقم (٢٧)، والنووى (ص ٢٧٢) مسألة رقم (٢٤١)، ثم انظر روح المعانى للألوسى (١٥/ ١٧٤).

(٢) الفتح (ص ٢٤٠) مسألة (٢٨)، والنووى (ص ٢٧٢) مسألة رقم (٢٤٣).

(٣) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (٢١/ ٦٤)، وروح المعانى للألوسى (١٥/ ١٨٤، ١٨٥).